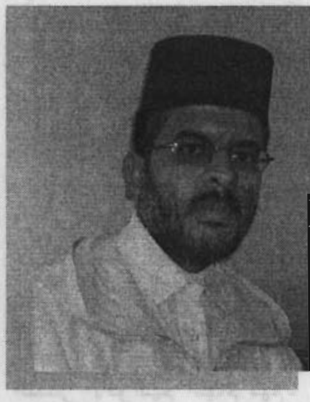


الشيعة والإمام ابن القيم

الدكتور أحمد كافي

كلمني أحد الفضلاء على إثر كلمة لي عن الشيعة مضى عليها أزيد من سنة يستنكر موقفي منهم. فقلت له فيما أذكر من كلامي: أنني رجل أشتغل بالعلم الشرعي القاضي ببيان الحق من غير جمجمة، وإن كان لغيري الحق أن لا يتكلم فيه لحالة الضرورة المتلبسة به أو لاشتغاله بالسياسة القاضية بمراعاة بعض ما ألفه القوم، فلا يلزم من تصرفاتك وما اتخذته من رأي أن ينسحب على أهل العلم الذين هم أئمة في البيان، الناس لهم تبع ومتبعون لما يبينون من كلام الشريعة. ثم جاءت الأحداث بعد ذلك الخطاب الذي أعلنته لتبين موقف الشيعة السيئ، والذي تؤكد الأيام صحة تاريخهم، وكيف أن إعلامهم وشيوخهم قاموا في وجه شيخ الإسلام الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى، وليس ما حدث هو سبب موقفي منهم.

وقد انطلقت خرافة الفتنة التي ينادي بها الشيعة مع خرافة وحدة الأمة، مع أنهم يعملون هم عكس مضمونها، لإلزام أهل السنة بإغلاق أفواههم أمام تعصباتهم وعقائدهم المحرفة، وكذبهم الواضح. ولسنا نريد الزيادة في النار بصب المزيد من زيت وقودها الذي طال عليه أمد تاريخنا مع الفرق، وإنما ننبه إلى مسلك لا نوافق عليه، والذي أريد من خلاله استدراجنا من خلاله إلى أن أصبحنا نتحدث عن مقاومة شرسة شيعية لتشييع أهل السنة، وأن ذلك كائن وموجود. فالفتنة كائنة ولسنا وحدنا نحن أهل السنة المسؤولون عنها، وإنما هي مشتركة لنا فيها نصيب كما لهم أيضا. فإن كان من حرص على المصالح المشتركة فنحن وإياهم في الغرم والغنم سواء.

السياسة والشرع

ولسنا مستغفلين حين نتهم الشيعة بما عندهم، وبما يقومون به اليوم. فذلك هو واجب الشريعة لمن وفقه الله تعالى إليه. لأننا مع الشيعة ضد أعداء الأمة من اليهود والنصارى وعلى رأسهم الإدارة الأمريكية المارقة، وهو مبدأ أصيل نابع من رفضنا لظلم أي كان، إننا غير قابلين لاعتداء أي كان، و"لقد شهدت مع عمومتي في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت"[1].

وكان هذا الحلف قد تناصر القوم فيه على نصرة المظلوم. فلسنا نخلط بين نصرة المظلوم في مظلوميته، وبين الإنكار عليه في ضلاله وغوايته، أو تنبيهه إليها. فنصرته في تلكم القضية والوقوف إلى جانبه ليست إجازة لمذهبه، ولا منة عليه، ولا توقيعا على بدعه وضلالاته. فالنصرة شيء، والسكوت عن المنكر موضوع مخالف.

إياكم واتهام أئمتكم

وإذ نقول هذا الكلام، نريد أن نحذر من مصيبة اتهام أئمتنا، فأقوال الإمام مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة والليث وأبي ثور وابن حزم وأبي الحسن الأشعري وابن المبارك والبخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة...ولفيف من عظام أئمة الإسلام، والذين تكلموا في كل زمان عن بلية الشيعة في الفروع والأصول، وأنهم شر من كثير من طوائف أهل الأرض ومللها ونحلها. فإذا كان هذا قول أئمة الإسلام بما يجعلني أقول بإجماعهم، فإن التنكر لأقوالهم اتهام لهم.

فارس أرض تمزيق كتاب محمد صلى الله عليه وسلم

وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث كتبه إلى ملوك ورؤساء زمانه، فكان ردهم جميلا، وغن كان البعض منهم بقي على كفره، غير أن ردا فجا جاء من فارس على كتابه صلى الله عليه وسلم، فمزق كتابه، ولا أخالني إلا أنها شنشنة من ذلك العهد لا تزال في القوم، وهو اجتهادهم في تمزيق الأمة.

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وبعث الكتاب مع عبدالله بن حذافة السهمي فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس" وفي رواية أخرى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ما صنع كسرى أبرويز بكتابه قال : مزق الله ملكه"[(2)].

إنما ظهر الوضع من جهة الشيعة

ولم يظهر الكذب ويكون فاشيا في الأمة إلا من جهة الشيعة، فهم أعظم أهل الأهواء كذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثرهم كذبا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولهذا قال أبو الفرج بن الجوزي(ت597هـ): فضائل علي الصحيحة كثيرة، غير أن الرافضة لم تقنع، فوضعت له ما يضع لا ما يرفع[(3)]. ولذلك كان المحدثون وعلماء الحديث يقولون: احمل عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا"[(4)]. وأما ابن تيمية فإنه قال:" وليس في أهل الأهواء أكثر كذبا من الرافضة"[(5)].

أما ابن القيم فإنه قال عنهم:"وعمارة الروافض الإلحاد والكفر، والقدح في سادات الصحابة وحزب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوليائه وأنصاره في قالب محبة أهل البيت والتعصب لهم وموالاتهم"[(6)].

ثم أكد رحمه الله تعالى على عقيدته، قائلا:" كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسمية الروافض لنا نواصب"[(7)].

ما حلت بلية بالمسلمين إلا من جهة الشيعة بدء أو أعوانا

وما قال عنهم رحمه الله تعالى:" ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما فرأينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد إسلام وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى فآثارهم تدل على أنهم هم أهل الصراط المستقيم ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان فإنه قط ما قام للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم على الإسلام وكم جروا على الإسلام وأهله من بلية وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام من عسكر هولاكو وذويه من التتار إلا من تحت رءوسهم وهل عطلت المساجد وحرقت المصاحف وقتل سروات المسلمين وعلماؤهم وعبادهم وخليفتهم إلا بسببهم ومن جرائهم ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة وآثارهم في الدين معلومة"[8].

التشيع: التفرق

وقد أكد رحمه الله تعالى أن التشيع مأخوذ من الشياع وهو التفرق، وأنه لم يرد في القرآن الكريم إلا ذما لمعناه، وما يحمله من الطامات، فقال:"فائدة بديعة: قوله عز وجل: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ (مريم 169)، فالشيعة الفرقة التي شايع بعضها بعضا، أي تابعه، ومنه الأشياع: أي الأتباع. فالفرق بين الشيعة والأشياع، أن الأشياع هم التبع، والشيعة: القوم الذين شايعوا، أي تبع بعضهم بعضا. وغالب ما يستعمل في الذم، ولعله لم يرد في القرآن إلا كذلك كهذه الآية، وكقوله:﴿ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾(الروم 132)، وقوله:﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل﴾(سبأ 54). وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشياع والإشاعة التي هي ضد الإئتلاف والإجتماع، ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم"[9].

الرافضة إخوان اليهود

الرافضة بيت المكر والاحتيال

ونظرا لأن المغضوب عليهم تميزوا بالبراعة في الحيل حتى مع الخالق عز وجل، فقد أشبههم الروافض من هذه الحيثية، فقال:"وكحيل اليهود وإخوانهم من الرافضة فإنهم بيت المكر والاحتيال ولهذا ضربت على الطائفتين الذلة، وهذه سنة الله في كل مخادع محتال بالباطل"[10].

الرافضة أبعد الناس عن العلم

ووصفهم رحمه الله تعالى بأنهم أبعد الناس عن العلم وتحكيم العقل الذي يستند إليه العقلاء في الدعاوى والبينات، وهو الذي أسلمهم إلى المخالفات الشرعية، حيث قال:"ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد وأخربوا المساجد"[11].

أفغانستان والعراق تذكروا

أما أفغانستان والعراق فتذكروا فليستا بعيدتين، فإنما تجرأ العدو من جهة موافقتهم له، واتفاقهم سرا معه، ولم يعد هذا في طي الكتمان، كيف اتفقت مراجعهم على اعتبار يوم احتلال العراق يوما يجب أن يتخذ عيدا وطنيا، ولا تحدثونا عمن لم يتكلم منهم، ولكن قولوا لنا: هل صدر من واحد منهم معارضة لما قد قيل وأذيع. إن لإيران الشيعية سياسة ظاهرة معلنة أنها مع شعور الأمة الإسلامية، وتعاون باطني مع الأعداء من مبدأ التقية المؤصل عندهم. إن الشيعة لا تؤمن يا قوم. تذكروا شريط إعدام

صدام عبارات الحقد المذهبي على الرجل وهو مكتوف اليدين على المشنقة، وكيف اختاروا بإصرار الإساءة للأمة الإسلامية في عيد الأضحى المبارك، الذي يحرم القانون والأعراف والذوق والسياسة والشرائع تنفيذ ذلك في هذه الأيام. ولسننا ننكأ الجراح، لأنها جراحنا لا جراحهم، وإنما نقدم إحاطة عاجلة لمن يتناسى أمرها. أتريدوننا أن نقتنع بكلامكم فتضعوننا على المشنقة.

خاتمة

نرجوكم نحن مستعدون للعمل من أجل العدل والحرية مع الناس، فلا تفهموا من هذا الاستعداد أن نتخلى عن أساسات ديننا، فالصحابة العظام، وآل محمد صلى الله عليه وسلم الأطهار، وأهل السنة الكرام ... يعز علينا أن نتغاضى عمن سبهم ولعنهم، ويتقرب بذلك في زعمه. فبرجاء كبير توجهوا بخطابكم إلى الشيعة، فهم أحق الناس بسماع خطابات التسامح، فإننا مع كل ذلك منصفون لا نتقول عليهم، وإنما نقول ما في كتب أسلافهم، وكتب أهل زماننا منهم، ومن أشرطتهم ومواقعهم، ومن أعمالهم في أرض العراق، فاسألوا هيئة علماء المسلمين في العراق والمناضلين والأحرار، ممن يعاني من هؤلاء أكثر، فاسمعوا لهم واسمعوا لمساجدهم وحرائرهم المغتصبين.

الهوامش

(1) قام بتخريجه في "فقه السيرة". قال الشيخ ناصر الدين الألباني: صحيح.

(2) سلسلة الصحيحة: 414/3.

(3) منهاج السنة النبوية: 7/ص442، ووردت في المنتقى من منهاج الاعتدال: للذهبي: ص480.

(4) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: الشيخ مصطفى السباعي، نقلا عن منهاج منهاج الاعتدال: لابن تيمية: 1/ ص13.

(5) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ سورة المجادلة: 14.وهذا حال الرافضة" انظر: منهاج السنة النبوية الجزء 3 – 378.

(6) إغاثة الهفان:81/2.

(7) شرح قصيدة ابن القيم:29/1.

(8) مدارج السالكين:1/ ص72. وهو نفس كلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، حين قال رحمه الله تعالى:" وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موادته للمسلمين، ولهذا لما خرج الترك والكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خرسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين. ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين، وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلهم المسلمون بالشام، كانت الرافضة من أعظم أعوانهم. **وكذلك إذا صار اليهود دولة بالعراق وغيره، تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائما يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم**" منهاج السنة النبوية الجزء 3 – 378.

(9) بدائع الفوائد:162/1.

(10) إعلام الموقعين:3/ص332.

(11) إغاثة اللهفان: 1/ص198.